Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صراحة على الضمير الذى ينبغى أن يربط البدل بالمبدل منه. هنا تقع العلاقة بين أطراف هذا النّسق التعبيرى على الطرف المدبّب للمجاز الذى يجمع بين الدلالات فى دوائر متداخلة، فى تلك المنطقة المتراوحة التى يصفها علماء الشعريّة بالميوعة والإبهام، ويصبح علينا حينئذ أن نرقب التداخلات بين هذه الدوائر فى علاقاتها السياقيّة والاستبداليّة معاً، علينا أن نبحث التشكيلات التعبيرية المتوالية عن نموذج نحوى ودلالى يبرز هذا التعالق دون أن يحرم الجملة من التذبذب بين الفصل والوصل، وهذا يجعل فكرة البدل تتحوّل إلى تقنيّة شعريّة تكيّف طريقة الترميز والتخييل فى النصّ، ولنتأمّل بعض هذه الأنساق البديلة فى المقطع السّابق :

- رقع الماءِ / الفضاءِ / الدخنِة الباهتةِ
- رماديٌّ / نسيجٍ
- الشوكُ المضيءُ / القنفذُ السّاطعُ / عنكبوت / ذهب
- بقايا القطر / أضغاثَ النباتات / هباءَ الذر

فنلاحظ أنّنا حيال منظومات من البدائل الشعريّة الطريفة التى تؤدّى معنى الوصفيّة الضمنى، دون أن تدخل فى نطاق النّعت اللّغوى لبعدها عن الاشتقاق. لكنّها تنخرط فى عمليّات الإسناد الوصفيّة الأخرى التى تقوم بها النعوت والأخبار لتكون مجموعة من المتواليات التى تطرح دلالاتها بالاستبدال.

ففى المجموعة الأولى نجد الفضاء بدلاً من الماء والدخنة بدورها بدلاً من منهما أيضا، دون أن يكون بوسعنا أن نرد هذه العلاقة لأحوال البدل المعتادة من كلّيّة أو جزئيّة أو اشتمال أو خطأ، ولا يبقى حينئذ أمامنا سوى أن نتأوّل فيها حتّى تصبح من قبيل الإبدال التصويرى الرّمزى، فالماء والفضاء والدخنة عناصر متفاعلة ومتداخلة فى تكوين المشهد الرّامز لهذا العالم السديمى، وحينئذ نجد أنّ توالى الكلمات هكذا قد أفضى إلى تشكيل رؤية خاصّة، الأمر الذى يذكّرنا بما يقوله علماء الشعريّة من أنّ أنساق الوصف هى أقدر الآليّات اللّغويّة على تقديم الرّؤية الشعريّة. وهى رؤية تمتزج فيها العناصر المتشاكلة والمتباينة لصناعة تكوين كلّى، وليس من الميسور للقارئ دائماً أن يظفر باستجلاء هذا التكوين بطريقة معقولة. إذ كثيراً ما يتضمّن علاقات على جانب كبير من الرّهافة التى تعزّ